

المحاضرة (١٢)
(عبد الرحمن شكري)
١٨٨٦ - ١٩٥٨

ملاحح الحياة وروافد الثقافة:

عبد الرحمن شكري هو واحد من الأعمدة الثلاثة التي تقوم عليها جماعة الديوان. وعلى الرغم من أن إعجاب طه حسين بشاعرية العقاد وإيثاره على كل شعراء العصر كما يبدو من قوله (أنا لا أومن في هذا العصر الحديث بشاعر عربي كما أومن بالعقاد) ، إلا أننا نظن أن شكري هو شاعر الجماعة الأول في حين يتصدر العقاد جانب النقد بين روادها. وشخصية شكري وطبيعته، قلما نجد لها مثيلاً في صفوف شعرائنا المحدثين، وبها انطبع شعره، وعنهما صدر في كل تصرفاته وعلاقاته مع الآخرين.

ينحدر الشاعر من أسرة مغربية الأصل، نزلت إلى مصر. كان والده واحداً من الرجال الذين حملوا مشعل الثورة العربية، أديباً وضابطاً، واتصل بعبد الله النديم وأسهم في تلك الثورة ثم سجن بعد فشلها.

كانت حياة عبد الرحمن شكري سلسلة من الأحداث يتصل بعضها ببعض الآخر، فيؤثر ويتأثر. وبهنا من هذه الأحداث، ما كان أثره واضحاً في شعره، وصار مادة ثرة لتجاربه الصادقة.

ويبدو أن شاعرنا قد تأثر بشخصية أبيه فنشأ على الاعتزاز بذاته اعتزازاً غير عادي ربما ولد في نفسه منذ صغره شعوراً بالنفرة من الآخرين.

واكبر الظن أن قرأته للشعر الرومانتيكي وإعجابه به قد ولد في نسه ميلاً إلى العزلة وحباً للذات، خصوصاً إنه كان الابن الوحيد لأبيه بعد وفاة كل اخوته الذين يكبرونه وقد اتفق ميله إلى قراءة روائع الادب الرومانتيكي، وما فيه من ثورة حيناً، وبأس حيناً آخر، مع صلته بمصطفى كامل الذي اعجب بشخصيته وأفكاره وقد غدى هذا الإعجاب الروح الوطنية لديه، لكنه كان ينتهي به إلى الشعور بالاحباط حين يجد بلده مساقاً إلى الاستعمار ، بينما تصاب الحركة الوطنية في صميمها، وكثيراً ما تنتهي بالفشل.

كان لالتحاق شكري بمدرسة الحقوق أثره في تعميق نزعتة الوطنية وتطلعاته الثورية، وفي تثبيت مبادئ الحرية التي كان يلهج بها في مثل قوله منادياً قومه:

ثباتاً فإن العار اصعب محملاً
من الذل لا يفضي بنا الذل للعار

وحين يفصل من مدرسة الحقوق بسبب مبادئه الثورية، وتحريضه على الثورة يلتحق بمدرسة المعلمين العليا التي حققت منعطفاً جديداً في حياته، ذلك أن هذه المدرسة قد اتفق مع

ميوله الادبية، فإذا هو ينشط في قراءاته للادب العربي والادب الأوربي. وفي هذه المدرسة أيضاً، درس (الذخيرة الذهبية) وأعجب بها إعجاباً شديداً، دفعه إلى قراءة الشعر الانكليزي. وعلى الخصوص شكسبير وبايرون وشيلي وكيتس وودزورثويتسون وغيرهم. وكان هذا اول منعطف له نحو الرومانتيكية الثائرة.

كما حققت له مدرسة المعلمين، تعرفه على المازني الذي كان سبباً في عقد أوامر الصداقه بينه وبين العقاد بعد عودته من بعثته في انكلترا.

وحققت له مدرسة المعلمين أيضاً شيئاً مهماً في حياته، إذ كان تفوقه فيها قد هياً له السفر إلى انكلترا في بعثة يدرس فيها الادب الانكليزي. وهناك كانت مواجهته الواقعية لهذا الأدب. إذ مارس قراءته على الطبيعة فأعجب بشعر مدرسة البحيرات، وتأثر بأرائهم النقدية، حتى إذا عاد إلى مصر سنة ١٩١٢ وجد قدره الذي ربطه بواحد من أكثر شباب مصر اندفاعاً إلى التيار نفسه، ذلكم هو العقاد الذي عرفه عليه صديقه المازني.

ومنذ آنئذ توطدت الصداقة بين أعمدة الجماعة حتى إذا أصدر شاعرنا ديوانه الثاني عام ١٩١٣ قدم له العقاد بمقدمة رائعة، أثنى فيها على شكري وشعره. واتجاهه في التجديد شكلاً ومضموناً.

ولم تكن فترة دراسته في انكلترا مهمة لتأثيرها فيه وتعميق التيار الرومانتيكي في مذهبه الشعري حسب، بل لأنها عمقت في نفسه شعوره بحب الوطن والتغني به وكان من أثر ذلك نظمه لقصائد الحنين إلى بلده منذ أن حطت قدماه أرض الانكليز فقال:

انزلوه في منزل مثل بطن الارض	جهم السماء جهم الاديم
عاش يبكي ايامه حيث صفو العيش	سهل الحباب سهل النسيم
أن أكن عائشاً فعيش عليل النفس	يذدي مثل الرجاء العقيم

وإذا هو يصيح في قصيدة أخرى بعد أن واجه الغربة مواجهة واقعية:
أنشقوني نسائم النيل أني لعليل والنيل حاجة نفسي

حين عاد شكري من انكلترا حاملاً شهادة التخصص في الأدب الانكليزي، وكان يحمل بين جوانحه الآمال العريضة التي طالما كان يمني بها نفسه الطموحة. وربما كان يجد في تحقيق طموحاته ما يرد لوطنه دينه الذي عليه وفاء واعتزاز.

لكن شاعرنا خاب ظنه حين وجد الذين يعتلون المناصب، ويديرون دقة الحكم في البلاد، هم الاقطاعيون وأمثالهم من الضالعين مع المحتلين والغاصبين، وممن لا يمتلكون ما يمتلكه هو وأمثاله من مواهب متميزة، ووطنية صادقة. وحز في نفسه أن يجد أبناء تلك الطبقة يعبثون

بمقدرات الوطن، وينالون من كرامته وعزته، وأتفق هذا مع شعوره الحاد في طبعه، ومواقفه تجاه الاشياء وفلسفته إزاء الكون والحياة والطبيعة، وخلق في نفسه الشعور بالانطواء، فأثر العزلة عن الناس.

ومن وقتئذ نشأ في نفسه صراع بين آماله وطموحاته العالية، وبين ما يواجهه من واقع متمرد لا يقوى على دفعه، أو طرده مخيلته، وأحاله ذلك الصراع إلى كيان مهزور وانتهى به إلى حالة من اليأس والشعور بالضياع والتمزق وابتعد به عما كان يجري في وطنه من صراع بين الذائدين عن الوطن، والمتأمرين عليه، ونأى به عن الإسهام في دوره الوطني، مؤثراً العزلة بنفسه وشعره عن كل ما يجري حوله من أحداث.

وإذا تصفحنا ديوانه (أزهار الخريف) الذي صدر سنة ١٩١٩ لم نجد فيه قصيدة وطنية واحدة، كتلك القصائد التي وجدناها في دواوينه الأولى. وهذا معناه أن ربح تلك الثورة المصرية العاتية لم تفتح وجه شاعرنا الذي كان يتصارع فيه طموحه مع واقعه.

وزاده عزلة ونقمة في هذه المرحلة - مرحلة الوظيفة- الخصومة التي جرت بينه وبين صديقه المازني والتي جاءت- كما يبدو- نتيجة للارهاق النفسي الذي كان يعاني منه . وقد أثرت في وضعه، حتى كادت أن تطير بلبه. وقد انضجت هذه الخصومة لديه عنصر الشكوى الذي لهج به في العديد من قصائده.

ومما زاد من تعقد النفسي، أن الشاعر لم يحقق في مهنة التعليم، التي قضى فيها سنوات طويلاً، ما كان يرجوه طموح وآمال، إذ كانت الدرجات والالقباب تسبغ على نفر من الذين يخدمون رجال الحكم ويتمسحون باعقاب القصر. وقد غذى هذا، عنصر الشكوى في شعره.

وربما كان صديقه العقاد خير من عبر عن نفسيته وحل أسباب عزلته حين قال عنه: (كان شكري رجلاً مرهف الحس عزيز النفس، كبير الأمل، وكانت له آمال في النهضة الأدبية، وآمال في لطائف التعليم، وآمال في حياته الوجدانية، فلم يظفر من جميع هذه الآمال بغير الصدمات تلو الصدمات. ولم تكن له الأعصاب التي تثيرها الصدمة بعد الصدمة إلى الحركة، فاعتزل الصحب والناس وسكن إلى مأواه الأمين).

أما ثقافته فكانت تجري في عدة روافد، في مقدمتها، رافد الثقافة العربية، الذي يستمد من تراثنا الادبي خصائصه الأصيلة التي وجدها في كتاب الأغاني لأبي الفرج، وديوان الحماسة لأبي تمام، وديوان الشريف الرضي، وديوان مهيار. وربما كان في رجوعه إلى (الوسيلة الأدبية) لحسين المرصفي أثر كبير في ثقافته التراثية العربية، فقد قرأه ووعاه وأفاد مما فيه، خصوصاً من البارودي والبهاء زهير.

على ان من أشد الشعراء تأثيراً فيه، ابن الرومي وابو العلاء، ويبدو أن الذي شده إليها هو ما كان ينزع إليه الشاعران (من شكوك فكرية ومن قلق اجتماعي ومن سيطرة لاوهام الشك،

وهواجس الظن عند ابن الرومي، وشك في طبيعة الإنسان، وجدوى حياته عند أبي العلاء، وما كان شاعرنا يجد في نفسه من هذه النوازع والهواجس) .

أما رافد الثقافة الأدبية فقد استمد مادته من كتاب (الذخيرة الادبية) الذي كان يدرس في مدرسة المعلمين العليا. ويبدو أن ما في هذا الكتاب من قصائد وجدانية قد وجد هوى في نفسه، فعكف على دراسته، وحفره إلى قراءة شكسبير وكل شعراء البحيرة الانكليز. ومما ثبت هذا الرافد في الثقافة الانكليزية لديه. دراسته الادب الانكليزي في انكلترا وحصوله على شهادة البكالوريوس فيه.

غير أن الشاعر لم يقف في تزوده للثقافة الأوربية عند حدود الثقافة الانكليزية، فقد راح ينهل من الادب الفرنسي والايطالي والالمانى والاسبانى واليونانى واللاتيني. كذلك لم يقف عند حدود الشعر، بل راح يفيد من النقد الاوربي، وعلى الخصوص الانكليزي. وقد كان (هازلت) كما يقود العقاد إماماً في النقد لشعراء هذه المدرسة وعلى أية حال فإن عبد الرحمن شكري، لم تتأصل في شعره هذه التيارات الجديدة وخاصة الرومانتيكية، إلا بفضل الثقافة الاوربية وخاصة الانكليزية ،

فقد

المصادر

١- قمم أدبية: نعمات احمد فؤاد.

٢- عبد الرحمن شكري: أنس داود